الليل الطويل

سحب بركات البحص نفسا قويا من «ارجيلته» واخذ ينظر الى الافق الممتد امامه من خلال الدخان الكثيف الذي نفثه من فمه، وسرح بفكره الى تلك الايام الخوالي التي قضاها في الكويت، وتذكر ما ذاقه من حلاوة ومرارة وبهلة ومال كثير، ونظر حوله واصبح يقارن عيشته البائخة الحالية بتلك الشقة شبه الحقيرة التي كان يقطنها في ذلك الحي المكتظ. قام فجأة عن كرسيه ورفع سماعة الهاتف طالبا من وكيل اعماله ان يتم تحضير اليخت له، استعدادا لقضاء عطلة نهاية الاسبوع مع صديقته الجديدة. تذكر بركات شريكه بوعبداللطيف، وتمنى لو كان معه في تلك اللحظة ليريه كيف يمكن ان يستمتع بما حققاه سويا من مال وفير وخير عميم من عقود المقاولات الخيالية التي حصلا عليها سويا!! ولكنه تذكر ان ابا عبداللطيف «مش خرج»، هكذا بذخ، وهكذا حياة كالتي يحياها لا تصلح لشخص مثله تعود ان يقضي يومه وهو يتنقل من وزارة الى اخرى، ولا يهدأ له بال حتى يجمع آخر ايجار من مئات المحلات التي يملكها في تلك المنطقة الصناعية القذرة!!. امتدت يد بركات اليسرى تداعب رقبة قطته السيامية الكسولة وامتدت يده الاخرى الى جيبه واخرجها وهي تحمل سبحة ثمينة انشغل بها عن القطة!!.

○○○

غطس محسن الرملي في الاريكة الجلدية الوثيرة التي تحتل احسن مكان امام بركة السباحة في فيلته الفخمة المطلة على مياه البحر المتوسط، ووضع رجلا على رجل، وتناول كأس «البلاك ليبل» من فوق الطاولة العاجية التي كانت امامه وسرح بفكره متذكرا بداية عمله في المقاولات كمتعهد توريد رمال في تلك الدولة الخليجية، وتذكر كيف تعرف على صديقه المتنفذ «سلطان» الذي ساعده في تخليص سيارته من الرمال وكيف اثر ذلك الحادث على كامل حياته ومستقبله بعد ان ودع الفقر الى الابد من خلال تلك العقود الغريبة التي انهالت عليه من تلك الوزارة العجيبة، وسأل نفسه عما اذا كان يجب عليه ان يدعو ذلك الصديق والشريك (العشرة بالمائة) الى حفل زواجه على زوجته الفرنسية الجديدة، بعد ان طلق «ام مازن» الى الابد. وجاء الجواب سريعا من داخله «انس»!!.

○○○

حرك سعود الصلبوخ جميع القطع البلاستيكية (الفيش) الموجودة امامه على الطاولة الخضراء وظل يدفعها الى ان استقرت على الرقم ١٢!! نظرت مديرة طاولة القمار الشقواء الجميلة الى «المستر سعود» وقالت له بصوت يذوب رقة وعذوبة، وبأدب قل نظيره، ان ما وضعه من مبلغ خيالي على ذلك الرقم هو اكثر مما هو مسموح المقامرة به على رقم واحد!! نظر سعود، وبنظرات وصوت غارق في الهبل، وقال لها انه قد فعل ذلك لانه اصيب بالملل من لعب القمار!! وانه يريد ان يذهب الى تناول العشاء، ولهذا اراد التخلص من كل ما كان امامه من مبلغ كبير في ضربة واحدة!! قام سعود بعدها بنثر الفيش الزائدة على ارقام اخرى. كما كان متوقعا لم يربح سعود شيئا وخسر كل ما كان معه من نقود، وقام بتثاقل واضح، بعد ان تيبس قفاه من جلوسه المستمر لساعات طويلة، يريد الخروج من المنطقة التي تم حجزها خصيصا له ليقوم بممارسة هوايته البريئة بعيدا عن عيون المتطفلين و«الجيبات»، ومال في طريقه على المديرة يسألها عن المبلغ الذي خسره من واقع الورقة التي كانت تدون فيها اسرارها، فذكرت له رقما يكفي نصفه لحفر عشرة آلاف بئر في النمسا!! نظر سعود اليها وهو يبحلق في ساقيها وقال، وابتسامته البلهاء لم تفارق عذب شفتيه، الله يعز وزارة الشغل!!.

○○○

حدثت تلك الامور في وقت متقارب جدا، وتزامنت مع غرق دولة بأسرها في نصف شبر لعين من الماء، وهو ما كان كافيا لفضح مخططات وخطط وتخطيط دولة عضو في جامعة الدول العربية وعضو في الامم المتحدة، والتي تعتبر الوحيدة التي كان فيها مجلس تخطيط ومجلس اعلى للتخطيط ووزارة ووزير ووكلاء للتخطيط (رفض احدهم مؤخرا، بسبب سجله الرائع، حتى مجرد الاستقالة من منصبه فأقيل منه «بالغصب»). وكانت تلك الدولة، ومنذ اكثر من ثلاثة عقود متتالية من الزمن من اكثر امم الارض قاطبة صرفا على مشاريع البنية التحتية والفوقية وحتى الوسطية، ومن اكثرها كرما وصرفا على التعليم ونهضته، ومن اوائل الدول اهتماما بالصحة وملحقاتها، وبعد كل ذلك تسقط كافة مشاريعها الانشائية في اختبار طقس لم يتجاوز الساعة الواحدة بكثير!! ويتم تصنيف الدولة، من بين عشرات الدول الأخرى، الأخيرة من حيث مستوى التعليم فيها!!! ويذهب اهلها لتلقي العلاج بمستشفيات الدول الاخرى عند اصابتهم باي عارض، وذلك بسبب عدم ثقتهم بوزارة الصحة فيها!!!.

احمد الصراف